

صورة الملك لويس التاسع في المصادر التاريخية العربية المعاصرة

م . د . ثورة خطاب علي | كلية التربية للعلوم الإنسانية

المقدمة

يمثل الملك الفرنسي لويس التاسع أحد أشهر الشخصيات الأوروبية التي احتكت بالمسلمين في شرق العالم الإسلامي ابان مرحلة الحروب الصليبية، فاذا كان ملوك المملكة الصليبية او امرائها قد احتلوا جانبا من عناية المؤرخين المسلمين الذين عاصروهم، واذا كان الملك ريتشارد قلب الأسد ملك إنكلترا قد حظي بقدر من اهتمام المسلمين عندما قاد الحملة الصليبية الثالثة كما بينا في دراسة سابقة، فان المصادر العربية لم تتوقف للحديث عن ملك اوريي مثل تناولها لملك فرنسا لويس التاسع؛ لابل ان هناك من المؤرخين من أفرد له ترجمة مستقلة ضمن كتب التراجم والوفيات، وتلك سابقة غير معهودة فيما يخص شخصية اورية خارج المجال الفكري والسياسي الإسلامي.

ومبعث ذلك جملة عوامل أبرزها توليه وحده قيادة أكثر من حملة صليبية باتجاه العالم الاسلامي، بحيث اقترنت هذه الحملات باسمه هو، فالحملة الصليبية الثالثة ، على سبيل المثال، شهدت مشاركة الامبراطور الألماني فردريك براروسا والملك الفرنسي فيليب أغسطس الى جانب ريتشارد قلب الأسد، أما الحملتان الصليبيتان السابعة والثامنة فكانت كلها لويس التاسع، ولم ينازعه الشهرة فيهما او القيادة ملك او قائد من قادة اوريا.

ومن جانب آخر فإن الحملة الصليبية السابعة قد شهدت تطورا مثيرا جدا عندما وقع لويس نفسه اسيرا بأيدي المسلمين إثر معركة المنصورة، الامر الذي سلط على شخصه أضواء إضافية جعلت المصادر العربية توليه عناية مضاعفة.



وثمة عامل آخر القى مزيدا من الضوء على شخصية لويس هو معاصرته لعاهل أوربي عرفه المسلمون واحتكوا به احتكاكا مباشرا الا وهو الامبراطور فردريك الثاني امبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة، الذي قاد الحملة الصليبية السادسة؛ فقد كانت لهذا العاهل الأوربي صلاته الشخصية والودية مع الملك الكامل الايوبي. وقد توقف المؤرخون المسلمون أمام حملة فردريك وزيارته للقدس الشريف ضمن الحملة الصليبية السادسة. وفي تناولهم لسيرة هذا الامبراطور عرجوا الى مناقشة علاقته الاوربية ولاسيما صراعه مع البابوية، وانعكاس ذلك على موقفه من الحملة الصليبية السابعة وعلاقاته بلويس التاسع. واتخذوا من لويس الصورة المناقضة لشخصية فردريك الذي عرفوه وقدره تقديرا عاليا. فكان في ذلك عامل إضافي زاد من معرفة المؤرخين المسلمين بلويس وتكوين تصوراتهم عنه.

وأخيرا يبقى العامل الأهم في الكتابة عن لويس هو أن انتصار المسلمين في الحملة الصليبية السابعة واندحار لويس قد جاء على ايدي المماليك الذين استقامت على أيديهم الدولة المملوكية الناشئة، فكانت حوادث هذه الحملة موضوعا كتب عنه المؤرخون المسلمون وهم يعالجون سيرة الظاهر بيبرس وقيام دولة المماليك. فأصبحت حوادث هذه الحملة وأسر لويس وقادته والفدية التي دفعوها مقابل إطلاق سراحهم من الموضوعات التي استعذب المؤرخون التوقف عندها ومعالجتها مرارا وتكرارا. وفي هذا البحث سنتناول موقف المصادر العربية التي تناولت الحملة الصليبية السابعة من تسمية ومكانة وشخصية قائد هذه الحملة الملك الفرنسي لويس التاسع وانجازاته، مستعرضين العوامل التي أدت الى عناية المؤرخين المسلمين في العصر المملوكي بشخصه واستقصاء وتحليل ملامح الصورة التي رسموها له. وذلك في محاولة لتبيان الكيفية التي تتشكل في الذهنية الإسلامية صورة الغزاة الذين اقتحموا بلادهم وسعوا لاحتلالها في مرحلة الحروب الصليبية.

الملك لويس التاسع والحروب الصليبية

ولد الملك لويس التاسع في عام ١٢١٤، وتولى الحكم بعد وفاة والده لويس الثامن وهو في سن الثانية عشرة بوصاية والدته. ثم أصبح ملكا على فرنسا في عام ١٢٣٦ واستمر في الحكم حتى عام ١٢٧٠. اشتهر بحماسة الديني وقيادته لحملة صليبيتين الأولى الى مصر والثانية الى تونس؛ وقد نجح في الأولى في الاستيلاء على مدينة دمياط والزحف باتجاه القاهرة لكنه تعرض لهزيمة قاسية عند مدينة المنصورة وقع على إثرها في الاسر. ثم أطلق سراحه بعد دفعه فدية ضخمة وتسليمه دمياط للمسلمين في ٢ صفر ٦٤٨/٦ ايار ١٢٥٠. اما حملته على تونس التي وقعت بعد حملته على مصر بنحو عشرين عاما فكانت نهايتها كارثية بالنسبة للويس، فلم يخسر الحملة فحسب وانما خسر حياته ايضا نتيجة الإصابة بمرض الطاعون، ودُمر جيشه وعاد الفرنسيون الى بلدهم يجررون أذيال الهزيمة وهم يحملون ما تبقى من رفاة لويس. وقد كافأت البابوية لويس على حروبه الصليبية بمنحه لقب قديس فأصبح يعرف بالأدبيات المسيحية باسم القديس سانت او سان لويس Sant Louis

المصادر التاريخية العربية المعاصرة للملك لويس التاسع

لقد تزامنت الحملة الصليبية السابعة وما تبعها من اعمال عسكرية قام بها الملك الفرنسي لويس التاسع مع ازدهار لافيت للنظر للكتابة التاريخية العربية الإسلامية، فبرز لدينا عدد من كبار المؤرخين المسلمين الذين وثقوا حوادث الصراع الإسلامي-الصليبي وقي مقدمتهم جمال الدين بن واصل في كتابه الشهير (مفرج الكروب في اخبار بني أيوب)، وسبط بن الجوزي في كتابه (مرآة الزمان في تاريخ الاعيان). وينضم إليهم كل من ابن عبد الظاهر وشافع بن علي في السير التي كتبها عن الظاهر بيبرس الذي كان له دور مميز في التصدي للحملة على مصر، ثم يأتي في الجيل التالي المؤرخ ابن ايبك الدواداري، وأبي الفداء، والذهبي وغيرهم. وأخيرا هناك المؤرخان المتأخران المقريري في كتابه (السلوك) وابن تغري بردي صاحب (النجوم

الزاهرة). ومما هو جدير بالإشارة ان هؤلاء المؤرخين قد استندوا الى شهادات معاصرة لأشخاص فقدت مؤلفاتهم مثل سعد الدين بن حمويه، وأضافوا اليها نصوص أخرى نقلوها عن مصادر وأشخاص عاصروا حملات لويس سواء على مصر او تونس.

تسمية لويس (ريدا فرانس) او (الفرنسيس) او لويس

من المثير للانتباه ان المؤرخين المسلمين قد حققوا خطوة متقدمة في اقتراهم من معرفة الشخصيات الصليبية في زمن لويس، ففي الوقت الذي كانوا في المرحلة الأولى من الوجود الصليبي على الأرض العربية يواجهون صعوبة كبيرة في التمييز بين الشخصيات الصليبية وتحديد اسمائها بدقة، نراهم في القرن السابع الهجري يتجاوزون مسألة التسمية الى معرفة الألقاب ودلالاتها. وعلى قدر تعلق الامر بالملك لويس التاسع، فقد حددت المصادر المعاصرة وفي مقدمتها ابن واصل لقبه بوضوح حينما رسم اللقب بـ(ريدا فرانس) وحدد معناه بدقة بأنه (ملك فرنسا) حيث يوضح بدقة "ان ريد في لغتهم معناها الملك". وقد نقلت الكثير من المصادر المعاصرة لابن واصل، والتي جاءت بعده هذه التسمية، مثل ابي ابن عبد الظاهر، وابي الفداء، والذهبي، وغيرهم. وثمة تسمية أخرى ذكرها المؤرخون للويس وهي الفرنسي او الافرنسيس. وكان اول ذكر لها في الوثيقة او المنشور الذي بعثه الملك المعظم تورانشاه للبشارة بالانتصار في المنصورة والقبض على لويس وكبار قاداته. وقد وثقت هذه التسمية أيضا الابيات الشعرية التي القيت في دمشق بمناسبة هذا النصر والقبض على لويس، وارسال رداؤه الملكي اليها. وفي هذا الشأن يقول شاهد عيان على ذلك وهو المؤرخ الدمشقي أبو شامة

" وصل الى دمشق غفرة الملك فرنسيس المأسور أرسلها الملك المعظم الى نائبه بدمشق الأمير جمال الدين موسى بن يغمور فلبسها ورأيتها عليه وهي اسكرلاط احمر تحته فرو سنجاب وفيها بكرة ذهب ، فنظم صاحبنا الفاضل الزاهد نجم الدين بن إسرائيل مقطعات ثلاثا ارتجالا كل مقطعة بيتين في مدح السلطان وامير أحدهما:

إن غفارة الفرنسيين التي جاءت حياء لسيد الامراء

ببياض القرطاس في اللون لكن صبغتها سيوفنا بدماء

وهنا إشارة الى الملابس التي كان يرتديها لويس وهي عبائة حمراء اللون وتحتها فرو وفيها ازرار من الذهب.

اما ابن ايبك الدواداري فيزيد في ذلك بقوله "وهذا الفرنسيين أكبر ملوك الفرنج الداخلة".

ولعل اضافة عبارة (الفرنج الداخلة) هي توضيح جغرافي للتمييز بين الفرنجة في بلاد الشام والفرنجة في فرنسا.

ونجد ان تسمية الفرنسيين لم تكن قاصرة على لويس نفسه، بل لقد أطلقها المسلمون بصورة عامة على ملوك فرنسا في ذلك العصر. ويمكن الإشارة الى ان بهاء الدين ابن شداد قد أطلق اسم الفرنسيين وملك الفرنسيين على ملك فرنسا فيليب أغسطس الذي قاد الجيوش الفرنسية في الحملة الصليبية الثالثة. ولعل أفضل إشارة الى ذلك ما قدمه المؤرخ والجغرافي أبو الفدا عندما قال واصفا دولة الافرنج:

"ومنها الإفرنج وهم أمم كثيرة، وأصل قاعدة بلادهم فرنجة، ويقال فرنسه، وهي مجاورة لجزيرة الأندلس من شماليها، ويقال لملكهم الفرنسيين، وهو الذي قصد ديار مصر وأخذ دمياط، ثم أسره المسلمون واستنقذوا دمياط منه، ومنوا عليه بالإطلاق".

لكن لم تغفل مصادر أخرى الإشارة الى الاسم الأصلي للويس فيذكر اليوناني في (الذيل) معرفا بأن ريد افرانس واسمه لويس اما ابن خلدون فقد كان اصح الجميع واكثرهم دقة عندما يقدم التسمية المتأخرة للويس بعد نيله القداسة وهي سان لويس، بقوله "أرسل الفرنسيين طاغية الإفرنج واسمه سن لويس بن لويس وتلقب بلغة الإفرنج روا فرنس ومعناه ملك إفرنس". ويقدم المقرئ في تفسيره الأسماء الثلاثة بقوله ويُقال له الفرنسيين واسمه لويس ابن لويس. وريدافرنس لقب بلغة الفرنج معناه ملك

أفرنس. وثمة تسمية رابعة يقدمها كل من الصفدي فيفرد ترجمة مستقلة للويس في كتابه (الوافي بالوفيات) لكن يبدو ان ثمة تصحيف في مخطوطة نسخه للاسم اذ يكتب اسمه بولش الفرنسيين الفرنجي. ويقع ابن شاعر الكتبي في فوات الوفيات في التصحيف نفسه عندما يحذو حذو الصفدي بإفراد ترجمة مستقلة للويس وتكرار الطريقة ذاتها التي يرسم بها اسم لويس مكانة لويس في المصادر العربية

اجمعت المصادر العربية في حديثها عن لويس المكانة التي كان يحتلها في بلاده، ففي الترجمة التي كتبها له الصفدي يقول عنه بأنه أجل مُلوك الفرنج وأعظمهم قدراً وأكثرهم عساکر وأموالاً ويقول الذهبي كان مُتَّسَع الممالك، كثير الجيوش والبلاد، عالي الهمة، ذا رأي ودهاء وأموالٍ وحشَم. اما ابن ابيك الدوادري فيقول "وهذا الفرنسيين أكبر ملوك الفرنج الداخلة، وأكثرهم قلاعاً وجموعاً.

عناصر تكوين شخصية لويس في المصادر العربية

أ- المراسلات بين لويس والصالح

مما لا شك فيه ان المسلمين لم يعرفوا في لويس التاسع الا غازيا ومحتلاً لبلادهم. كما ان احتكاكهم به وهو في الاسر جعلهم يتعرفون أكثر على شخصه. وأول مصادر معرفتهم بشخصه هي الرسالة التي أرسلها الى الصالح مهددا بغزو مصر. والتي رسخت صورة معينة في اذهان المسلمين. ونجد أكثر من صيغة لهذه الرسالة. ومنها أقدم من أوردتها المؤرخ شمس الدين قرطاي الخزنداري وفيها يقول :

ولما وصل الملك فرنسيس الى ثغر دمياط، لم يأمر بالنزول الى البر حتى كتب هذه الرسالة وبعثها الى السلطان الملك الصالح

بسم الله الفصيح صاحب الدين الصحيح، عيسى ابن مريم المسيح

أما بعد ، فانه لم يخف عليك ولا على كل ذي عقل ثاقب وذهن زب انك امير هذه الملة الحنيفية وانا امير هذه الملة النصرانية، وانه غير خاف عنك ما فتحنا من بلاد

الاندلس والاشكاري، واخذنا النساء والعذارى وفرقناهم لليهود والنصارى وابعنا ازواجهم اسارى. وقد علمت ما نحن فيه من حق الرعية لما فتحنا بلدة المهديّة وعفونا عن ثغر سكندرية، ف تلجىء المسلمين الى العسف. فاني اسمهم بسمة الخسف، أقتل العباد وادرس البد واطهر الأرض من الفساد، فان قابلتنا في القتال فقد آليت الى غير مأل ونكثر في جيشك العويل و نرحم الذليل. ولا تجد الى نصرتهم سبيل. وانا شرحت لك ما فيه الكفاية واذلك لك غاية الاجتهاد والنهائية ان تثقل عندي الرهان وتحلف لنا بغامض الايمان وتستعجل لنا بما عندك من مراكب وطرايد وشوان. لتكون قلوبنا راضية عنك. وخواطرننا مايلة اليك. والا فالقتيناك في أحب اماكن واضيق المساكن فان كانت لك هدية القيت بين يديك وان كانت لي فيدي العليا عليك استحق بالإضافة امارة الثلثين وحكم الشريعتين وبيد الله السعادة وهو الموفق للإرادة.،
ثما انشأ في اسفل كتابه شعر

ستسلم ان سلمت غير محارب فانك تعطى أمورا ترومها
اتيناك في خلق كرام وعصبة مسيحية لم تخف عنك علومها
وها انا قد انشدت بيتا تههدا مخافة الا تبلغ النفس ضيما
ستعلم ليل أي دين تداينت واي غريم للتقاضي غريما .

بينما يقدم ابن ايبك الدواداري صيغة مقاربا للرسالة نفسها مع بعض التغيير

«بسم الإله النصيح، صاحب الدين الصحيح، عيسى بن مريم المسيح. أمّا بعد فإنه لم يخف عليك ولا على كل ذى عقل ثاقب، وذهن لازب، أنك أمين هذه الملة الحنيفية، وأنا أمير هذه الملة النصرانية. وليس خفى عنك ما فتحنا من بلاد الأندلس والسبارا، وأخذنا النساء والعذارى، وفرقناهم على ملة النصارى، وجعلنا رجالهم أسارى، ونساءهم عليهم حيارى. وقد علمت ما نحن فيه من حق الرعية، لما فتحنا بلاد المهديّة، وعفونا على ثغر الإسكندرية، فلا تلجىء العالم إلى العسف، ولا تسيهم

بسيما الخسف. نقتل العباد، وندوس البلاد، ونظهر الأرض من الفساد، فإن قابلتنا بالقتال، فقد أوجبت على نفسك ورعيتك النكال، وأرميتهم في أسرّ الوبال، يكثر فيهم العويل. ولا نرحم عزيز ولا ذليل، ولا تجد إلى نصرتهم من سبيل. ونحن نشرح لك ما فيه الكفاية، وأبذلنا لك غاية النصيحة والهداية، أن تتقل إلى عندنا ما عندك من الرهبان، وتحلف لنا بعظائم الأيمان، أن تكون لنا نائبا على ممرّ الأزمان، وتعجل لنا بما عندك من مراكب وطرائد وشوانى، ولا تكون فيك فترة ولا توائى، لتكون قلوبنا راضية عليك، ولا تسوق البلاء بيدك إليك، وتكون على نفسك وجيشك قد جنيت، وتعود تقل «ياليت». وتضع الحرب أوزارها، وتشعل نارها، ويتعالى شرارها، ويقتم فنارها، وتأخذ منكم بتارها، فسيوفنا حداد، ورماحنا مداد، وقلوبنا شداد، ويحكم بيننا بينكم رب العباد. فإن كانت لك فهديّة ألقّت بين يديك، وإن كانت لنا فيدنا العليا عليك، إذا استحق بالإضافة إمارة الملتين، وحكم الشريعتين، وبيد الله تعالى السعادة، وهو الموفق للإرادة». ثم كتب في آخره يقول:

ستسلم إن سلمت غير محارب ... فإنك لترجو أمورا ترومها

أتيناك في خلق كرام وعصبة ... مسيحية لم تخف عنك علومها

وها أنا قد أنشدت بيتا مهديدا ... مخافة أن لا تلتقى النفس ضيمها

ستعلم ليلي أيّ دين تداينت ... وأيّ غريم للتقاضى غريمها

في حين يقدم المقريري نصا مختلفا في كتابه السلوك، وهو

"أما بعد فإنه لم يخف عنك أيّ أمين الأمة العيسوية، كما أنني أقول إنك أمين الأمة المحمدية. وإنه غير خاف عنك أن أهل جزائر الأندلس يحملون إلينا الأموال والهدايا. ونحن نسوقهم سوق البقر ونقتل منهم الرجل ونرمل النساء، ونستأسر البنات والصبيان، ونخلي منهم الديار، وقد أبديت لك ما فيه الكفاية، وبذلت لك النصح إلى النهاية، فلو حلفت لي بكل الأيمان ودخلت على القسوس والرهبان، وحملت قدامي



الشموع طاعة للصلبان، ما ردني ذلك عن الوصول إليك، وقتلك في أعز البقاع عليك، فإن كانت البلاد لي، فيا هدية حصلت في يدي، وإن كانت البلاد لك والغلبة علي، فيدك العليا ممتدة إلي. وقد عرفتك وحذرتك من عساكر قد حضرت في طاعتي، تملأ السهل والجبل، وعددهم كعدد الحصى، وهم مرسلون إليك بأسياف القضا.

وعلى الرغم من الاختلاف بين النصين فإن شخصية لويس تكاد تكون واحدة، يلجأ الى التهديد والاستخفاف بالمسلمين والغطرسة والاستعلاء. وقد غلف ذلك بطابع النصح بأن لا يزج الصالح نفسه في حرب مع قوات الغزاة الصليبيين. فلويس يهدد الصالح بأن مصيره سيكون مثل مصير مسلمي الاندلس الذين شارك ملوك الاسبان في التنكيل بهم. ويظهر الطابع الديني في شخصية لويس عندما يجعل من نفسه أمين الامة العيسوية، وبأن الحرب هي حرب دينية ستنتهي بأن تنتصر أحد الملتين والشريعتين.

وفي الرسالة الثانية يبلغ الامر بلويس انه ماض في محاربة المسلمين مهما بذل الصالح من تنازلات، تصل الى حد التنصر، بينما في الرسالة الأولى يفرض عليه أن يجعل من نفسه نائباً للويس ويضع سفنه واسلحته في خدمته، لكي يتجنب الحرب التي يهدد بها ويتوعد.

ب- دور الامبراطور فردريك الثاني في تصوير شخصية الملك لويس التاسع

الى جانب هذه المراسلات وأثرها في تكوين صورة لويس لدى المسلمين، هناك مصدر آخر مهم أسهم في تنمية وعي المسلمين بشخصية لويس الا وهو خصمه الأوربي الامبراطور فردريك الثاني امبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة. فقد أدت العلاقة الطيبة التي ربطت الملك الكامل الايوبي بفردريك الى انتقال الكثير من المعلومات عن لويس الى المسلمين لا سيما إذا عرفنا بأن المؤرخ ابن واصل قد كان ضمن الوفد الذي ارسله الملك الظاهر بيبرس الى صقلية برئاسة أحد أكبر امرائه،

وانه تلقى مباشرة الكثير من المعلومات عن الأوضاع في اوربا اثناء وجوده فيها .
وفحوى ذلك قول ابن واصل

" ولما قصد ريذا فرنس - وهو من أكبر ملوك الفرنج - الديار المصرية سنة سبع وأربعين وستمائة، بعث إليه الأنبراطور ينهاه عن ذلك، ويخوفه ويحذره عاقبة الأمر، فلم يقبل منه. فحكى لى سرنرد وهو مهمنددار منفريد ابن الأنبراطور قال: «أرسلنى الأنبراطور في السر إلى الملك الصالح نجم الدين لأعرفه عزم قصد ريذافرنس على الديار المصرية وأحذره منه، وأشير عليه بالاستعداد له. فاستعد له الملك الصالح، ورجعت إلى الأنبراطور، وكان ذهابى إلى مصر ورجوعى في زى تاجر. ولم يشعر أحد باجتماعى بالملك الصالح خوفا من الفرنج أن يعلموا مما لأة الأنبراطور للمسلمين عليهم» .

ويورد قرطاي الخزنداري رواية مطولة مفادها أن فردريك عندما فارق السلطان الكامل من الأرض المقدسة الى عسقلان واعتنقا وتوادعا وهما متصاحبان متظاهران متواخيان. وعندما أراد لويس غزو مصر كان لابد له ان يمر ببلاد فردريك:

"فخرج الانبرور اليه وأضافه وقدم له الخيول والأموال والانعام اعانة له. ثم اجتمع الملكان ليتحادثا. ثم قال الانبرور للفرنسيس اين تقصد قال الفرنسيس والله لابد لي من الديار المصرية ومن بيت المقدس. قال له الانبرور في جملة كلامه: يا هذا ، اتق الله في نفسك ، ولا تمض الى الديار المصرية وتخاطر بنفسك وبالملوك الذين معك وبمن معك... وانك لا تقدر على أخذ دمياط ولا على البيت المقدس ولا على الديار المصرية وقد نصحتك. قال ولما سمع الفرنسيس كلام الانبرور عظم عليه وقال للانبرور لا تزيد ولا تطول ،فوالله والله وحق ديني لا بد لي من دمياط ومن بيت المقدس والديار المصرية ولا ارجع عن ذلك حتى افنى انا ومن معي".

وتمضي الرواية الى القول بأن فردريك بعث الى لويس يوبخه لأنه سبق ان نصحه بعدم محاربة المسلمين وان رفضه النصح ولجاجته هي التي أدت بلويس الى هذه



الهزيمة الساحقة. فيظهر لدينا صورة مناقضة لشخصية لويس فردريك الذي ينقل المعلومات سرا للمسلمين ولويس الذي يتجه لمحاربتهم، وصورة فردريك الحكيم الذي نصح لويس بعدم محاربة المسلمين وعناد لويس وتبجحه ورفضه لنصيحة فردريك. وإذا عدنا الى مرحلة زمنية اسبق نرى المؤرخ ابن نظيف الحموي ينفرد بتقديم معلومات مهمة عن الأوضاع في صقلية، تكشف لنا جانبا من المشهد السياسي الذي تحرك خلاله لويس وهو يستعد للقيام بحملته الصليبية. ومحور ذلك هو العلاقة مع البابوية. فيقدم الحموي رسالة مطولة كتبها فردريك الى أحد اكبر امراء الكامل وهو فخر الدين بن شيخ الشيوخ يعكس فيها جانب من العداء بين البابوية وفردريك، مما يشكل ارهاصا للمعلومات التي وصلتنا عن دور البابوية في تحريض لويس على القيام بالحملة الصليبية، فيصبح المشهد الأوربي منقسما بين فردريك من جانب والبابا ولويس ملك فرنسا من جانب آخر. هذه الثنائية فردريك- لويس انعكس أثرها على صورة لويس لدى المؤرخين المسلمين، فصورة لويس تأتي بمثابة النقيض لصورة فردريك. فردريك الذي يعادي البابوية وينحاز الى صف المسلمين، وبين ولويس الذي ينصاع لأمر البابوية ويتجه لمحاربة المسلمين. ولعل أطرف نص في هذا المجال، والذي يعكس دراية المسلمين بدور البابوية في تحريض لويس على محاربة المسلمين. ويلقي ضوءا كاشفا على شخصية لويس هو قصيدة شعرية كتبها الشاعر جمال الدين بن مطروح بعد هزيمة لويس وعودته الى بلاده أثر فشل الحملة الصليبية السابعة، ومن مقاطعها. قل للفرنسيس إذا جئته ... مقال صدق من قول فصيح

آجرك الله على ما جرى ... من قتل عباد يسوع المسيح

أتيت مصر تبتغي ملكها ... تحسب أن الزمر يا طبل ريح

فساقك الحين إلى أدهم ... ضاق به عن ناظريك الفسيح

وكل أصحابك أودعتهم ... بحسن تدبيرك بطن الضريح

خمسون ألفاً لا ترى منهم ... إلا قتيلاً أو أسيراً جريح

وفتك الله لأمثالها ... لعل عيسى منكم يستريح

إن كان باباكم بذا راضياً ... فرب غش قد أتى من نصيح

وقل لهم إن أضمرؤا عوده ... لأخذ ثارٍ أو لعقدٍ صحيح

دار ابن لقمان على حالها ... والقيد باقٍ والطواشي صبيح

ومما يستشف من هذه القصيدة ان لويس كان مندفعاً هوجاً أراد غزو مصر، فكانت النتيجة الهزيمة القاصمة نتيجة سوء تدبيره وعنجهيته. ويتبع الشاعر أسلوباً مقابل لأسلوب لويس في رسالته المشار اليها سابقاً، حيث يتهم عليه مستخدماً طريقة النصح بداعي الذم والانتقاص كما فعل لويس. والمسألة الأخرى التي تتم عنها هذه الرسالة هو دور البابوية في توجيه لويس للقيام بالحملة. وهو الامر الذي تحدث عنه فردريك كما ذكرنا سابقاً، حيث يشير الشاعر الى دور البابا (باباكم) في حث لويس على القيام بالحملة وان البابا قد غش لويس وخدعه عندما حرضه على ذلك.

ج- أسر لويس وأثر ذلك على معرفته شخصيته

وإذا رجعنا الى جوانب أخرى من شخصية لويس سنرى ان الذهبي يقدم لنا من وحي مصدر قريب جداً من الاحداث هو سعد الدين بن حمويه المؤرخ والسياسي البارز بعض الإشارات الى شخصية لويس. والرواية تقدم مزيجاً من الصفات الإيجابية والسلبية، فيشير الى ان لويس طلب بعد ان حوصر هو ومن معه، وهم قرابة خمسمئة فارس مقابلة الامراء المماليك، وعرض عليهم تسليم نفسه ومن معه مقابل منحه الأمان، شرط ان لا يوضعوا بين السوقة والرعاغ. ففي تسليمه واشتراطه ان لا يسجن مع عامة الاسرى ترفع وكبرياء وخطرسة لشخص لا يملك، وهو في هذا الموضع اليأس أي خيار لفرض الشروط. ومن جانب آخر ينقل الذهبي أيضاً عن سعد الدين ان لويس "لو أراد أن ينجو بنفسه خلص على خيلٍ سبق أو في حُرّاقة،

لكنّه أقام في السّاقفة يحمي أصحابه . " فبقائه ورفضه الانسحاب والنجاة بنفسه، فتعكس صفة الشجاعة والدفاع عن قواته. وهذه الحادثة لها ما يماثلها لدى المصادر الصليبية المعاصرة للويس، وتحديدا كتاب المؤرخ جوفيل الذي كان برفقة لويس ووقع معه في الاسر، فيذكر أن لويس نُصح مرارا بمغادرة المنصورة متجها الى دمياط عن طريق القارب لكنه رفض دون هواده التخلي عن قواته مستعدا "للمواجهة أي نهاية كانت ". عندما أصر تشارلز أنجو اخو الملك على مغادرة لويس، لان وجوده في الجزء الخلفي من الجيش كان يسهم بالتباطؤ بشكل خطير، أجاب الملك: " كونت أنجو، كونت أنجو، إذا كنت تعتقد أنني اشكل عبئا عليك، تخلص مني أنا؛ لكنني لن أترك جيشنا أبدا ."

ويقدم لنا نص سعد الدين بن حمويه (الذي ذكره الذهبي) تفاصيل إضافية عن شخصية لويس، فهو يشير بأن الملك المعظم تورانشاه بعد ان قبض على لويس وقادته قام بإكرامهم، وأرسل اليهم خمسين خلعة، فرفض لويس لبس الخلعة بكل غطرسة قائلا: "انا بلادي بقدر بلاد صاحب مصر كيف البس خلعتة"، ولم يكتف بذلك بل انه رفض أيضا دعوة كبيرة للغداء أقامها المعظم وكانت حجته قوله " أنا ما أكل طعاما وما يحضرني الا ليهزأ بي عسكره، ولا سبيل الى هذا".

ويتضح من ذلك ان لويس كان متكبرا ولم يتنازل عن سلوكياته المتعجرفة حتى وهو في الأسر . ومع ذلك فان الذهبي ينوه ببعض الصفات الإيجابية للويس في قوله "وكان ذا عقل وثبات ودين، وهم كانوا يعتقدون فيه . ويوضح ابن تغري بردي هذا النص عندما يقول بأن "النصارى كانوا يعتقدون فيه بسبب ذلك" وهذا يقودنا الى المسألة المشار اليها سابقا وهي معرفة المسلمين بتدين لويس.

وإذا رجعنا الى ابن واصل نجده يستقي معلوماته عن لويس من شاهد عيان مقرب جدا من الاحداث الا وهو الأمير حسام الدين محمد بن ابي علي الهذباني نائب السلطنة في مصر، والذي تولى بنفسه التفاوض مع لويس في شأن إطلاق سراحه

وتسليم دمياط. وكان اختيار حسام الدين لهذه المهمة كما يقول ابن واصل "لاتفاق الجماعة على الاقتداء برايه ومشورته، ولما يعلمونه من معرفته واعتماد الملك الصالح سابقا عليه . ومن سياق حديث حسام الدين مع لويس تتضح ملامح شخصية الأخير، وكما نقلها الى ابن واصل، فحسام الدين يقول لابن واصل ان لويس كان فطنا عاقلا . ويسوق له جانبا من احدى الحوارات بينه وبين لويس فيقول حسام الدين انه قال للملك " كيف خطر للملك مع ما أرى من عقله وفضله وصحة ذهنه ان يقدم على خشب، ويركب متن هذا البحر ويأتي الى البلاد المملوءة من عساكر الإسلام، ويعتقد انه يحصل لها تملكها، وفيما فعل غرر بنفسه واهل ملته، فضحك ولم يجر جوابا. ثم يمضي حسام الدين في القول

فقلت له انه قد ذهب بعض فقهاء شريعتنا انه من ركب هذا البحر مرة بعد أخرى مغررا بنفسه وماله؛ انه لا تقبل شهادته اذا شهد، لأنه يستدل بذلك على ضعف عقله ومن كان ضعيف العقل لا تقبل شهادته. قال فضحك وقال: لقد صدق هذا القائل، وما قصر فيما حكم فيه.

ويتضح من ذلك ان حسام الدين قد مضى يحاور لويس وان الحوار استغرق زمنا رفعت فيه الكلفة بين الرجلين كما رأينا.

إطلاق سراح لويس في المصادر العربية

بعد أن مكث لويس في الاسر لبعض الوقت جرى التداول بين كبار امراء المماليك في مصيره. وقد طرأ في هذه المرحلة متغير خطير على السياسة المملوكية تمثل بمقتل تورانشاه وتولي كبار المماليك السلطة الفعلية بمصر تحت حكم ظاهري لزوجة الصالح شجر الدر بوصفها الملكة ام الخليل بن الصالح . لأجل ذلك كان لابد من تسوية قضية لويس وحل مشكلة بقاء دمياط بأيدي الصليبيين. ويشار مرة أخرى الى شخص حسام الدين الذي دخل، كما يقول الذهبي في قضيته على ان يسلم للمسلمين دمياط ويحمل خمسمائة ألف دينار ."

لكن الرواية تمضي فتعكس موقفا مختلفا من قبل حسام الدين عندما اقترح على معز الدين ايبك عدم اطلاق لويس عندما قال: "هذه دمياط قد حصلت لنا، وهذا الرجل في أسرنا وهو عظيم النصرانية، وقد اطلع على عوراتنا، والمصلحة ألا نطلقه؛ وكان قد تسلطن أيبك التركمانى الصالحى أو صار حاكما عن الملكة شجرة الدر؛ فقال أيبك وغيره من المماليك الصالحيّة: ما نرى الغدر! وكانت المصلحة ما قاله حسام الدين".

وتمضي الرواية فتلقي اضاءة أخرى على شخص لويس عندما تزعم، ونقلنا هذه المرة عن سعد الدين بن حمويه القول بأن لويس بعد أن غادر دمياط وركب البحر "أنفذ رسولا إلى الأمراء الصالحيّة يقول: ما رأيت أقلّ عقلا ولا دينا منكم! أمّا قلّة الدين فقتلتم سلطانكم بغير ذنب... وأمّا قلّة العقل فكذا، مثلى ملك البحر وقع في أيديكم بعتموه بأربعمائة ألف دينار، ولو طلبتم مملكتى دفعتها لكم حتى أخلص .

وهذا النص يعطي صورة عن لويس بأنه كان ينظر الى نفسه بأنه ملك البحر، وثانيا هو نوع من الحرب النفسية لشخص عاد بالفشل الذريع بعد ان فقد جيوشه وامواله واسلحته. كما انه يتضمن مغالطة حقيقية، فاطلاق لويس لم يكن فقط مقابل الفدية المالية، وانما لانسحاب الصليبيين من دمياط وهذا هو الإنجاز الأكبر الذي ترك ابن واصل يقول

" وكانت هذه النصرّة أعظم من النصرّة الأولى، أعني التي كانت في سنة ثمان عشر وستماية في أيام الملك الكامل باضعاف مضاعفة، لكثرة من قتل منهم واسر، وامتألت الحبوس بالقاهرة من الفرنج ووردت البشائر بذلك الى سائر بلاد الإسلام واعلن فيها الفرح والسرور"

ولمّا قتلوه دخلوا على الفرنسيس الخيمة بالسيوف، فقالوا: نريد المال، فقال: نعم، فأطلقوه وسار إلى عكا على ما اتفقوا عليه معه .

الحملة على تونس



ارتد لويس كما قلنا مدحورا عن مصر فالتجأ الى بلاد الشام ومنها رخل الى بلاده. وبقي حلمه بغزو مصر وإعادة الاستيلاء على بيت المقدس قائما. وخطرت له في مرحلة متأخرة من حياته ان يعاود الكرة ويقود حملة صليبية جديدة. فقام في عام ٦٦٨هـ/١١٧٠م بتحشيد قواته وحاول احتلال تونس الا ان الحملة كما سبق القول قد باءت بالفشل وفقد لويس حياته واغلب جيشه فيها . ويمكن من خلال متابعة عرض المؤرخين المسلمين لأحداث هذه الحملة ان نلقي ضوءا إضافيا على صورة لويس كما تمثلت للمسلمين.

وثق المؤرخون المسلمون مجريات هذه الحملة مع انها لم تقصد مصر. واختلفت رواياتهم في التفصيل والاختصار بشأن حوادثها، لكن غايتنا سنقتصر على الأضواء التي تلقيها هذه الروايات على صورة لويس دون الخوض في تفاصيل الحملة.

أول المسائل المرتبطة بالحملة على تونس هي الدوافع التي وجهت لويس للتوجه للقيام بحملته من جهة، وسبب اختياره تونس هدفا لحملته من جهة أخرى

أول الأسباب التي تحدثت عنها المصادر هي الروح الصليبية والتعصب الديني الذي هيمن على شخصية لويس فيقول قرطاي الخزنداري ان لويس كان ظنينا بدينه. ويقول ان الذهبي ان همه أن يستعيد القدس . وفي هذا الشأن تبرز رواية ابن خلدون التي تنبه الى دور البابا في دعم حملة لويس، عندما "أوعز إلى ملوك النصرانية بمظاهرته، وأطلق يده في أموال الكنائس مددا له. ويرى اليونيني ان دافع الانتقام والثأر من الهزيمة التي تعرض لها في مصر هو السبب وراء حملته الجديدة وتوجه إلى بلاده وفي قلبه ما فيه مما جرى عليه من ذهاب أمواله ورجاله وأسرته فبقي في بلاده ونفسه تحدثه بالعود إلى الديار المصرية وأخذ تأره .

اما لماذا قصد تونس، فتذكر بعض المصادر العربية انه انما كان يستهدف مصر لكنه خشي ان يتعرض لهزيمة مماثلة لتلك التي تعرض لها في معركة المنصورة

فأشير عليه ان يحتل تونس ويزحف منها الى مصر، فإن هر وملك أفريقية تمكن من قصد مصر في البر والبر وكان تملكها عليه سهلا .

اما ابن خلدون فينبه الى صفتين من صفات لويس الأولى الخداع فقد اتخذ حجة للغزو وهي استرجاع أموال الجنويين الذين كانت لهم صلاتهم التجارية مع حكام تونس من الحفصيين. وعندما ارجع له الملك الحفصي الأموال استولى عليها ورفض الإقلاع عن غزو بلدهم، ولما طالبوه بالاموال التي اعطوه إياها رفض وتذرع بالحجج الواهية، اما الصفة الثانية فهي نكث العهد، فذكره وفد الملك الحفصي بأنه تعهد للمصريين في مقابل إطلاق سراحه أن لا يحمل السلاح لمحاربة المسلمين مرة أخرى فلم يزده ذلك الا عتوا واستكبارا واعتذر عن نقض العهد بان القى اللوم على اهل تونس . وان من الثابت لمن يتتبع سير الملوك الصليبيين سواء في الشرق او في بلادهم الاصلية ان يجد دائما ان نكث العهود والمواثيق وسهولة حصولهم على التبرير من الكنيسة ورجال الدين سمة دائمة من سمات السلوكيات الصليبية

لكن الحملة الصليبية باءت بالفشل بسبب وفاة لويس وهلاك القسم الأكبر من الجيش. وقد وردت روايات متعددة في كيفية وفاة لويس، فاذا كانت المصادر الغربية قد عزت الوفاة الى اصابته بالطاعون . فان المصادر العربية قد ذكرت روايات مختلفة بشأن ذلك، فإبن واصل يتفق مع رواية المصادر الغربية عندما يجعل سبب الوفاة الوباء العظيم الذي اهلك لويس وجماعة من الملوك الذين معه. لكن ابن واصل يقع في خطأ في تحديد تاريخ حملة لويس عندما يجعلها عام ٦٦٠ هـ أي قبل وقوعها بأكثر من عقد من الزمن. وينقل الصفدي والكتبي رواية ابن واصل بما فيها من معلومات صحيحة واخطاء فيشيران الى الوباء العظيم الذي كان سببا في وفاة لويس وفشل حملته، لكنهما أيضا يتبعان خطأ في تحديد تاريخ الحملة .

ولدينا رأيان مخالفان لذلك وردا على لسان ظغري الخزندار وابن خلدون، فيقدم الأول رواية مفصلة عن مهاجمة لويس لتونس وحصاره لها، ويورد اكثر من تعليل لوفاتهن

فيقول ان البعض قالوا بانه عندما رأى بأن جيشه قد استظهر على مدينة تون واشرف على اخذها طلب الشراب ومعه بعض امرائه، فشرق بقدر الخمر فمات، اما الرواية الثانية التي يوردها فانه مرض واشتد مرضه ومات نتيجة قيام المقاتلين المسلمين بتلويث المياه التي يشرب منها الصليبيون، فاصابهم المرض وماتوا وكان بين الموتى لويس وجماعة من قاداته . اما ابن خلدون فروايته أكثر تفصيلا لانه استقى بعض عناصرها عن ابيه عن جده. وهو يقدم أربعة روايات بشأن وفاة لويس، بين وفاة وفاة طبيعية او اصابته بشهيم طائش، او وفاته بالوباء. اما الرواية الأخيرة التي يشكك فيها فمفادها أن السلطان الحفصي بعث اليه بسيف مسموم وكان فيه مهلكه . وقد تنبأ له احد الشعراء المغاربة بمصيره هذا عند شروعه بالحملة الى تونس في قوله

يا فرنسيس هذه أخت مصرٍ ... فتيقن لما إليه تصير

لك فيها دار ابن لقمان قبرٌ ... وطواشيك منكر ونكير

وبالفعل كانت نهاية لويس في ارض تونس.

الخلاصة

سعيانا في هذا البحث الى تتبع ملامح الصورة التي رسمتها المصادر العربية للملك الفرنسي لويس التاسع الذي اشتهر بحملتيه الصليبيتين السابعة والثامنة على كل من مصر وتونس. وقد اتضح لنا ان المصادر العربية قد أطلقت على لويس عدة تسميات من بينها ريدا فرانس أي ملك فرنسا او الافرنسيس وضبط اسمه بطريقة صحيحة الذهبي، اما ابن خلدون فقدم الصيغة المسيحية لاسم لويس وهي سان لويس او القديس لويس . ويتضح ان ثمة عوامل متعددة أسهمت في تشكل هذه الصورة من بينها الرسالة التي بعثها لويس الى الملك الصالح نجم الدين صاحب مصر قبيل غزوه دمياط في عام ٥٤٧هـ/١١٥٠م وهذه الصورة تمثل الغطرسة

والتهديد والاستخفاف بالمسلمين. اما العامل الثاني فمصدره الامبراطور فردريك الثاني الذي نقل للمسلمين، ومنهم المؤرخ ابن واصل، روايات تتعلق بالروح الصليبية للويس وتأثير البابا عليه ، وتحوله الى شخصية مناقضة لشخصية فردريك الذي كان يتمتع بعلاقات طيبة مع المسلمين وبالمقابل في حالة عداء متواصل مع البابا. اما العامل الثالث فكان بطبيعة الحال وقوع لويس في الاسر واحتكاك المسلمين معه بصورة مباشرة، فقدم لنا اثنان ممن تواصلوا مع لويس وهم سعد الدين بن حمويه والأمير حسام الدين الهذباني معلومات عن شخصية لويس بين الحديث عن شجاعته وقوة شخصيته وبين تكبره واستعلائه. وتضاف الى العوامل السابقة مسألة المفاوضات واطلاق سراح لويس ومضي لويس في غطرسته واستعلائه حتى بعد ان تخلى عن مدينة دمياط ودفع فدية مالية باهضة . وأخيرا تأتي الحملة على تونس بعد نحو عشرين عاما من الحملة على مصر لتضيف ملامح أخرى على صورة لويس تتمثل بغدره وتكبره للمواثيق وطمعه بالأموال ثم وفاته وفشل خطته واندحار مخططاته الاستعمارية.

ومهما يكن من أمر فان اختلاف الروايات المتعلقة بصورة لويس وشخصيته انما تؤكد حقيقة خلص اليها هذا البحث هي عناية المصادر العربية واهتمامها بتتبع حركته سواء اكانت وجهته بلاد الشام ام مصر ام تونس، فقد مثل هذا الملك خطرا كبيرا على المسلمين . ولعل أجمل ختام وضعه المؤرخون المسلمون لرحلتهم وراء حملات لويس هو قول ابن خلدون

" فكان آخر عهدهم بالظهور والاستفحال ولم يزلوا في تناقص وضعف إلى أن افترق ملكهم عمالات. واستبدَّ صاحب صقلية لنفسه، وكذا صاحب نايل وجنوده وسردانية، وبقي بيت ملكهم الأقدم لهذا العهد على غاية من الفشل والوهن. والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

الهوامش والمراجع

١- سبق للباحثة أن اعدت أطروحة دكتوراه تناولت صورة الملوك والحكام الصليبيين في المصادر العربية الإسلامية المعاصرة، لكنها توقفت حتى نهاية الحملة الصليبية الثالثة عام ٥٨٨هـ / ١١٩٢م، والبحث الحالي يسعى للمضي الى مراحل تالية خارج الإطار الزمني الذي استوعبته الاطروحة.

ثورة خطاب علي، الملوك والحكام الصليبيون في المصادر العربية والصليبية المعاصرة حتى نهاية الحملة الصليبية الثالثة ٤٩٢هـ / ١٠٩٨م - ٥٨٨هـ / ١١٩٢م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة تكريت، كلية التربية للعلوم الإنسانية، (٢٠١٧)

٢- قام المؤرخان المتعاصران ابن شاعر الكتبي في كتابه (فوات الوفيات) والصفدي في كتابه (الوافي بالوفيات) بإفراد ترجمة مستقلة للملك الفرنسي لويس التاسع حمل ترجمة الكتبي عنوانا هو (الفرنسيس الفرنجي)، أما ترجمة الصفدي فكانت تحت عنوان (بولش الفرنسي الفرنجي).

محمد بن شاعر بن احمد الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق احسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٩٧٣-١٩٧٤) ج١، ص ٢٣١-٢٣٢.

صلاح الدين خليل ايبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت، دار احياء التراث، ٢٠٠٠) ج١٠، ص ١٩٧.

٣- محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦١)، ص ٩٣.

٤- عالج هذه المسألة المؤرخ والمستشرق المعاصر كونراد هيرششر في تناوله لأهمية المؤرخ ابن واصل بوصفه من أبرز المصادر العربية التي عالجت الشخصيات الصليبية.

Konrad Hirschler, "Ibn Wasil: An Ayyubid Perspective on Frankish Lordships and Crusades" in Alex Mallet, Medieval Muslim Historians and the Franks in the Levant (Leiden, E. J. Brill, 2014)



- ٥- ستيفن رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة نور الدين خليل، (القاهرة، د م، دت)، ج٣، ص٢٣٣-٢٣٤.
- ٦- مثال ذلك: عز الدين علي بن الحسن بن الاثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، (١٩٩٧)، ج١٠، ص٤٣٤ فما بعدها (حوادث سنة ٦٢٦ هجرية)؛ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزؤغلي المعروف بسبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق، محمد بركات واخرون، دمشق، دار الرسالة العالمية، (٢٠١٣)، ج٢٢، ص٢٩٦ فما بعدها.
- ٧- عولج دور المماليك في تحقيق الانتصار على قوات لويس في السير التي كتبت واهدت للظاهر بيبرس وفي مقدمته السيرة التي كتبها ابن عبد الظاهر.
- محي الدين بن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخواطر (الرياض، د م، ١٩٧٦). وينظر أيضا:
- احمد رضا احمد، السلطان المملوكي الظاهر بيبرس في دراسات المستشرقين البريطانيين: ميور وهولت وارون، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، (٢٠١٣).
- ٨- هانز ابرهارد ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق عماد الدين غانم، (ليبيا، مطبعة ادنيار، ١٩٩٠)، ص٤٦٩.
- ٩- زيادة، حملة لويس التاسع، ص٢١٩-٢٢١.
- ١٠- محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في الشرق والغرب، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢)، ص١٣٦-١٣٩.
- ١١- يقول المؤرخ ماير: ان المفكر الفرنسي فولتير الذي عرف بنقده المر للكنيسة وتشكيكه برجالاتها قد وجد في ترسيم لويس قديسا بعد ٢٧ عاما من وفاته عمل صحيح وسليم. ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص٤٧٠.
- ١٢- شاکر مصطفى، التاريخ والمؤرخون، بيروت، دار العلم للملايين، (١٩٩٠)، ج٣، ص٨٥-٨٧.

١٣- مثال ذلك ان ابن واصل كان ينقل الكثير من التفاصيل المتعلقة بمعركة المنصورة والملك لويس عن نائب السلطنة في مصر حسام الدين الهذباني. جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني أيوب، تحقيق عمر عبد السلام تدمري(صيда، المكتبة العصرية،٢٠٠٤)، ج٦، ص١٢٥.

١٤- علي، الملوك والحكام الصليبيون، ص٧٢.

١٥- بالفرنسية Roi de France

١٦- ابن واصل، مفرج الكروب، ص ٧٢

١٧- ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص٤٩.

١٨- يقول أبو الفدا "وفي هذه السنة سار ريد إفرنس، وهو من أعظم ملوك الفرنج، وريد بلغتهم هو الملك، أي ملك إفرنس، وإفرنس أمة عظيمة من أمم الفرنج"

عماد الدين إسماعيل بن علي ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، القاهرة، المطبعة الحسينية المصرية، دت) ج٢، ص ١٧٢

١٩- يوضح الذهبي "أن ريد افرنس هو مقدّم الإفرنسيّة"

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٣) م٤٧، ص ٣٥٥.

٢٠- ونص المنشور

نُبِّئِرَ الْمَجْلِسَ السَّامِي الْجَمَالِي، بَلْ نَبِّئِرَ الْإِسْلَامَ كَافَّةً بِمَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ الظَّفَرِ بَعْدَ الدِّينِ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ اسْتَقْلَ أَمْرَهُ، وَاسْتَحْكَمَ شَرَّهُ، وَيَسُّ الْعِبَادُ مِنَ الْبِلَادِ وَالْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ، فَنُودُوا {وَلَا تَيَأْسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ} الْآيَةَ [يوسف: ٨٧] وَلَمَا كَانَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ مَسْتَهَلَّ السَّنَةِ الْمُبَارَكَةِ تَمَّمَ اللَّهُ عَلَى الْإِسْلَامِ بَرَكَتَهَا، فَتَحْنَا الْخَزَائِنَ، وَبَدَلْنَا الْأَمْوَالَ، وَفَرَّقْنَا السِّلَاحَ، وَجَمَعْنَا الْعُرْبَانَ وَالْمَطَاوِعَةَ، وَاجْتَمَعَ خَلْقٌ [عَظِيمٌ] (١)، لَا يَحْصِيهِمْ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَجَاءُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، وَمِنْ كُلِّ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَحِيقٍ، وَلَمَا رَأَى الْعَدُوُّ ذَلِكَ أَرْسَلَ يَطْلُبُ الصُّلْحَ عَلَى مَا وَقَعَ الْإِتِّفَاقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَلِكِ الْكَامِلِ، فَأَبَيْنَا، وَلَمَا كَانَ فِي اللَّيْلِ تَرَكَوا خِيَامَهُمْ وَأَثْقَالَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَقَصَدُوا



دمياط هاربين، فسِرْنَا في آثارهم طالبين، وما زال السيف يعمل فيهم عامّة الليل، وقد حلّ بهم الخزيّ والويل، فلما أصبحنا نهار الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفاً غير من ألقى نفسه في اللّجج، وأما الأسرى فحدّث عن البحر ولا حرج، والتجأ الإفرنسيس إلى المُنِيّة، وطلب الأمان، فأمنّاه، وأخذناه وأكرمناه، وتسلمنا دمياط بعون الله وقوّته، وجلاله وعظّمته ، سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٤١٣.

٢١- شهاب الدين ابي عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٤، ط٢،

٢٢- أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، القاهرة طبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٢) ج٧، ص ١٨٤.

٢٣- علي، الملوك والحكام الصليبيين، ص٢٢٦.

٢٤- أبو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج١، ص٩٣.

٢٥- قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني، ذيل مرآة الزمان، (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٩٢) ، ط٢، ج٢، ص١٩٩.

٢٦- عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحاذة، (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨)، ج٦، ص٤٢٦.

٢٧- أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي ، تقي الدين المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق عبد القادر عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧، ج١ ، ص٢٧.

٢٨- الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٠، ص١٩٧.

٢٩- الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٢٣٢

٣٠- الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص١٩٧.

٣١- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٥، ص٤٧.

٣٢- الدواداري، ج٧، ١٨٤.



٣٣- شهاب الدين قرطاي العزي الخزنداري، تاريخ مجموع النوادر مما جرى للاوائل والواخر، تحقيق ودراسة هورست هاين ومحمد الحجيري، برلين، دار نشر كلاوس شفارتز، (٢٠٠٦)، ٦٩-٧٠.

٣٤- الدواداري، كنز الدرر، ج٧، ص٣٦٧.

٣٥- المقرئزي، السلوك، ج١، ص٤٢٧.

36- Hirschler, "Ibn Wasil", p. 150.

٣٧- ابن واصل، مفرج الكروب، ج٤، ص٣٤٧.

٣٨- الخزنداري، تاريخ مجموع النوادر، ص٥٧-٥٨.

٣٩- أبو الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق أبو العبد دودو، دمشق، مطبعة الحجاز، دت)، ص١٩٠

٤٠- يقول أبو الفدا نقلا عن ابن واصل ما نصه "وبعد توجهي من عند الإمبراطور اتفق البابا خليفة الفرنج، وريدافرنس، على قصد الإمبراطور وقتاله، وكان البابا قد حرمه كل ذلك، بسبب ميل الإمبراطور المذكور إلى المسلمين، وكذلك كان أخوه كرا، ووالده فردريك محرمين من جهة البابا برومية، لميلهم إلى الإسلام."

أبو الفدا، المختصر، ج٤، ص٣٨.

٤١- ابن واصل، مفرج الكروب، ج٦، ص١٢٥-١٢٦.

٤٢- سعد الدين بن حمويه: هو سعد الدين مسعود بن تاج الدين بن حمويه، ولد سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥، لعب أدوارا سياسية في خدمة الايوبيين، فاصبح حاكما على الشوبك في عهد المعظم عيسى ثم خدم الملك المظفر في ميفارقين. ثم التحق بابن عمه فخر الدين في مصر، حيث كان فخر الدين أكبر امراء الصالح نجم الدين أيوب، وشارك معه في صد الحملة الصليبية السابعة ودون بعض احداثها، لكن كتابه المسمى (جريدة) قد فقد ولم يتبق منه الا المقتطفات في مؤلفات المتأخرين.

نضال حاج أبو بكر، اسرة شيخ الشيوخ ابن حمويه في العصر الايوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، قسم التاريخ، ٢٠٠٨، ص٧٢-٧٣.



- ٤٣- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤٧، ص ٥٠
- ٤٤- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤٧، ص ٥٠-٥١
- 45- Joinville and Villehardouin, Chronicles of the Crusades, 142
- 46- Richard, Saint Louis, 125-6; Joinville, Vie de Saint Louis, 81-2.
- ٤٧- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤٧، ص ٥١
- ٤٨- نفسه، ج ٤٧، ص ٥٠
- ٤٩- جمال الدين أبو المحاسن ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (مصر، دار الكتب، دت) ج ٦، ص ٣٦٦.
- ٥٠- ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٦، ص ١٣٣.
- ٥١- نفسه، ص ١٣٣.
- ٥٢- نفسه، ص ١٣٣-١٣٤.
- ٥٣- جيمس واترسون، فرسان الإسلام وحرب المماليك، ترجمة يعقوب عبد الرحمن (القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١١)، ص ٩٣-٩٤ .
- ٥٤- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤٧، ص ٥٣.
- ٥٥- نفسه، ص ٥٣ .
- ٥٦- نفسه، ص ٥٣
- ٥٧- ابن واصل، مفرج، ١٣٤ .
- ٥٨- سيط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٢٢، ص ٤١٧.
- ٥٩- رانسيمان، تاريخ، ج ٣، ص .
- ٦٠- الذهبي، م ٤٩، ص ٩٠.
- ٦١- ابن خلدون، تاريخ، ج ٦، ٤٢٤ .
- ٦٢- اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ٢، ص ٢٠٠.
- ٦٣- ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٦، ص ١٣٦.



- ٦٤- ابن خلدون، تاريخ، ج٦، ٤٢٦.
- ٦٥- سبق للباحثة ان تناولت هذه المسألة بالتفصيل في اطروحتها للدكتوراة فيما يخص المرحلة المبكرة من الغزو والاحتلال الصليبي للمنطقة العربية.
علي، الملوك والحكام الصليبيين، ص٢٣٧-٢٣٨.
- ٦٦- رانسيمان، تاريخ، ج٣، ص٣٤٢-٣٤٣.
- ٦٧- ابن واصل، مفرج الكروب، ج٦، ص١٣٥.
- ٦٨- الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٢٣٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص١٩٧.
- ٦٩- الخزنداري، تاريخ، ص١٥٤.
- ٧٠- ابن خلدون، تاريخ، ج٦، ص٤٢٦.
- ٧١- الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٢٣٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص١٩٨.
- ٧٢- نفسه، ص٤٢٦.

المصادر والمراجع العربية والمعربة

- ١- ابن الاثير، عز الدين علي بن الحسن، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، (١٩٩٧)
- ٢- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (مصر، دار الكتب، دت).
- ٣- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨)
- ٤- ابن عبد الظاهر، محي الدين، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر (الرياض، د م، ١٩٧٦).



- ٥- ابن نظيف الحموي، أبو الفضائل محمد بن علي، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق أبو العبد دودو، دمشق، مطبعة الحجاز، د ت).
- ٦- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في اخبار بني أيوب، تحقيق عمر عبد السلام تدمري(صيदा، المكتبة العصرية، ٢٠٠٤).
- ٧- أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي ، المختصر في أخبار البشر، القاهرة، المطبعة الحسينية المصرية، د ت)
- أبو بكر، نضال حاج، اسرة شيخ الشيوخ ابن حمويه في العصر الايوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، كلية الآداب ، قسم التاريخ، ٢٠٠٨، ص ٧٢-٧٣.
- ٨- أبو شامة، شهاب الدين ابي عبد الرحمن بن إسماعيل، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، (بيروت، دار الجيل، ١٩٧٤).
- ٩- احمد، احمد رضا ، السلطان المملوكي الظاهر بيبرس في دراسات المستشرقين البريطانيين: ميور وهولت وارون، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، (٢٠١٣).
- ١٠- الخزنداري، شهاب الدين قرطاي العزي، تاريخ مجموع النوادر مما جرى للاوائل والاواخر، تحقيق ودراسة هورست هاين ومحمد الحجيري، برلين، دار نشر كلاوس شفارتز ، (٢٠٠٦).
- ١١- الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، القاهرة طبعة عيسى البابي الحلبي، (١٩٧٢)
- ١٢- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٣)



١٣-رانسيما، ستيفن تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة نور الدين خليل (القاهرة، د م، دت)،

١٤زيادة، محمد مصطفى، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦١)

١٥- سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزؤغلي ، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق، محمد بركات واخرون، دمشق، دار الرسالة العالمية، (٢٠١٣)

١٧-الصفدي، صلاح الدين خليل ابيك، الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت، دار احياء التراث، ٢٠٠٠)

١٨-علي، ثورة خطاب، الملوك والحكام الصليبيون في المصادر العربية والصليبية المعاصرة حتى نهاية الحملة الصليبية الثالثة ٤٩٢هـ / ١٠٩٨م - ٥٨٨هـ / ١١٩٢م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة تكريت، كلية التربية للعلوم الإنسانية، (٢٠١٧)

١٩-الكتبي، محمد بن شاکر بن احمد، فوات الوفيات، تحقيق احسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٩٧٣-١٩٧٤).

٢٠-ماير، هانز ابرهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق عماد الدين غانم، (ليبيا، مطبعة ادنيار، ١٩٩٠)

٢١-مصطفى، شاکر، التاريخ والمؤرخون، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٠)

٢٢-المطوي، محمد العروسي، الحروب الصليبية في الشرق والغرب، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢)



٢٣-المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٩٩٧)

٢٤-واترسون، جيمس، فرسان الإسلام وحرب المماليك، ترجمة يعقوب عبد الرحمن (القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١١).

٢٥-اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد، ذيل مرآة الزمان، (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٩٩).

المصادر الأجنبية غير المعربة

1-Joinville and Villehardouin, Chronicles of the Crusades, London, George Bell& sons, 1903).

2-Konrad Hirschler, "Ibn Wasil: An Ayyubid Perspective on Frankish Lordships and Crusades" in Alex Mallet, Medieval Muslim Historians and the Franks in the Levant (Leiden, E. J. Brill, 2014